

الوسطية من منظور إسلامي

م. د . حسين علي أحمد
جامعة الموصل/كلية العلوم الإسلامية

المؤتمر العلمي السنوي الأول لكلية التربية الأساسية (٢٣-٢٤/أيار/٢٠٠٧)

ملخص البحث :

برزت في الحياة المعاصرة بعض مظاهر الانحراف في الفكر والسلوك والعقيدة . فانطلقت الأصوات تدعو للوقوف في مواجهة هذه الانحرافات وكيفية معالجتها ؛ ومن جملة ما توسّلت به هذه الأصوات هو الدعوة إلى الوسطية وعدم التطرف ؛ لكن في أثناء ذلك جنح الحماس ببعضهم حتى وصل الحال ببعضهم أن يوصموا كل ملتزم بدينه وخاصة في الأمور المظهرية بالتطرف والتتّع والابتعاد عن الوسطية ؛ فالذي يحافظ على السنن والآداب في عبادته ومعاملاته : متشدد ؛ والذي يبتعد عن الخنا والفجور : متزمت متحجر ، والذي يجتهد في الطاعة والعبادة : غالٍ في الدين ، والذي يدعو إلى تصحيح المفاهيم ووضع الأمور في نصابها : متتّع والذي يلتزم واجب الوقت:متهور بعيد عن الحكمة ، والذي يرتفع إلى مستوى عالٍ وأفق مضيء : خيالي ومثالي .

أما الجانب الآخر فهو التفريط في الدين بحيث لا يعرف عن دينه شيئاً وإذا عرفه لم يفهمه من مصادره الأساسية الموحى بها { المعايير المعصومة }، بل يفهمه بفهم الأشخاص فيكون تقليداً أعمى حتى ولو كان الخطأ والضلالة ، ومنهم من لا يحمل نفسه على الالتزام بالعبادة والآداب والسلوك ، ولا يبالي بما يرتكب من الآثام والموبقات ويطلق العنان لشهوته وأهوائه وملذاته ، أو بتركه الواجبات وفروض الأعيان في فقه الواقع بذرائع واهية أساسها الخوف أو الجهل أو الضعف إلا ما رحم الله فهذا وأمثاله ليس تطرفاً في الجهة المقابلة ؛ بل هو عندهم سعة في الأفق ، وواقعية في السلوك وفهم للواقع ، وحكمة في التصرف ، وإدراك لفقه المآل ، وبُعد نظر ، ومعرفة بحقوق النفس ومطالبها ، وانفتاح على الحياة والمدنية المعاصرة .

وبين هذا الفهم وذاك ؛ ضاعت معاني الوسطية الصحيحة والتبست بمفاهيم أخرى ، وأصبح كل فريق يدّعي الوسطية وهو بعيد كل البعد عنها ، فأثّى له ذلك .

حتى تميّعت كثير من قضايانا بسبب هذا اللبس ، فأصبحنا غير مميزين للحق من الباطل أو الخير من الشر ؛ بل لم نُفرّق بين الصديق والعدو أو المؤمن والكافر .

فأردنا بهذه الورقات أن نتعرف على الوسطية بمفهومها الصحيح من خلال المصادر الأصلية في ذلك فكان هذا البحث . وتناول البحث بعد هذه المقدمة محاور أهمها :

- معنى الوسطية في اللغة والاصطلاح .
- الوسطية في الإسلام .
- وسطية الإسلام بين الأديان .
- مسؤولية الأمة الوسط ودورها .
- معالم في فهم الوسطية .

By the name of Allah

Summery search of medditreanian in the idea of Islam

Lecturer Dr. Hosaen Ali Ahmed

College of Islamic Science – University of Mosul

Abstract:

During the last days, The appearances of corruption have appeared through thoughts, behavers and the rihgt religion. The voices start to stop and face these spoil ideas and against corruption in thoughts and How to solve them.

The one who tries to keep his religion describes as a complex, exaggerator and torrist.

The one who doesn't understand and know something of his religion from the main sources being described as an immitator of others . He will not recognize what he does and behave and How deals with others .

This is just for away of the correct religion . He doesn't have enough wisdom . Between this and that The meanings of the right understanding of the Islam has been lost . So , this search explains the correct and right meanings of Islam .

المقدمة :

برزت في الحياة المعاصرة بعض مظاهر الانحراف في الفكر والسلوك والعقيدة. فانطلقت الأصوات تدعو للوقوف في مواجهة هذه الانحرافات وكيفية معالجتها ؛ ومن جملة ما توسلت به هذه الأصوات هو الدعوة إلى الوسطية وعدم التطرف ؛ لكن في أثناء ذلك جنح الحماس ببعضهم حتى وصل الحال ببعضهم أن يوصموا كل ملتزم بدينه وخاصة في الأمور المظهرية بالتطرف والتتبع والابتعاد عن الوسطية ؛ فالذي يحافظ على السنن والآداب في عبادته ومعاملاته : متشدد؛ والذي يبتعد عن الخنا والفجور : متمت متحجر ، والذي يجتهد في الطاعة والعبادة : غالٍ في الدين ، والذي يدعو إلى تصحيح المفاهيم ووضع الأمور في نصابها : منتطع والذي يلتزم واجب الوقت: متهور بعيد عن الحكمة ، والذي يرتفع إلى مستوى عالٍ وأفق مضيء : خيالي ومثالي .

أما الجانب الآخر فهو التفريط في الدين بحيث لا يعرف عن دينه شيئاً وإذا عرفه لم يفهمه من مصادره الأساسية الموحى بها { المعايير المعصومة }، بل يفهمه بفهم الأشخاص فيكون تقليداً أعمى حتى ولو كان الخطأ والضلالة ، ومنهم من لا يحمل نفسه على الالتزام بالعبادة والآداب والسلوك ، ولا يبالي بما يرتكب من الآثام والموبقات ويطلق العنان لشهواته وأهوائه وملذاته ، أو بتركه الواجبات وفروض الأعيان في فقه الواقع بذرائع واهية أساسها الخوف أو الجهل أو الضعف إلا ما رحم الله فهذا وأمثاله ليس تطرفاً في الجهة المقابلة ؛ بل هو عندهم سعة في الأفق ، وواقعية في السلوك وفهم للواقع ، وحكمة في التصرف ، وإدراك لفقه المال ، ويُعدّ نظر ، ومعرفة بحقوق النفس ومطالبها ، وانفتاح على الحياة والمدنية المعاصرة .

وبين هذا الفهم وذاك ؛ ضاعت معاني الوسطية الصحيحة والتبست بمفاهيم أخرى ، وأصبح كل فريق يدّعي الوسطية وهو بعيد كل البعد عنها ، فأثى له ذلك .

حتى تميّعت كثير من قضايانا بسبب هذا اللبس ، فأصبحنا غير مميزين للحق من الباطل أو الخير من الشر ؛ بل لم نُفرّق بين الصديق والعدو أو المؤمن والكافر .

فأردنا بهذه الورقات أن نتعرف على الوسطية بمفهومها الصحيح من خلال المصادر الأصلية في ذلك فكان هذا البحث .

وتناول البحث بعد هذه المقدمة مباحث وهي :

المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الوسطية .

المبحث الثاني : وسطية الإسلام بين الأديان .

المبحث الثالث : الوسطية ، ضوابطها ، معالمها .

المطلب الأول : ضوابط فهم الوسطية .

المطلب الثاني : معالم في فهم الوسطية .

المبحث الرابع : مسؤولية الأمة المسلمة ودورها .

ثم الخاتمة .

المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الوسطية : التعريف اللغوي للوسطية :

الواو والسين والطاء : بناءً في اللغة صحيح يدلّ على العدل والنصف وأعدل الشيء : أوسطه ووسطه ، وشيء وسط : بين الجيد والردىء ، ووسط الشيء : ما بين طرفيه . والوسط والأوسط : المعتدل من كل شيء ، والعدل والخير .
والوسط قد يأتي صفة وإن كان أصله أن يكون اسماً ، من جهة أن أوسط الشيء : أفضله وخياره ، ومنه ((خيار الأمور أوسطها)) فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدلّه جاز أن يقع صفة وذلك في مثل قوله تعالى ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) أي عدلاً .
والأصل في الوسط أن يستعمل وصفاً للأمور الحسيّة المادية ، وسط الدار ، وسط الرمح ، ثم يُستعار ذلك لوصف الأمور المعنوية : أوسطهم نسباً وعلماً ، والدين الوسط ^(١) .

التعريف الاصطلاحي للوسطية :

اعتنى علماء التفسير ومفردات القرآن ببيان معنى الوسط .
فقال الراغب الأصفهاني ((والوسط تارة يُقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذي هو بين البخل والسرّف ، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط ، فيمدح به نحو السواء والعدل والنّصف ، نحو قوله ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) ، وعلى ذلك قوله تعالى ((قَالَ أَوْسَطُهُمْ)) .

وتارة يُقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ، ويُكنى به عن الرّذل، نحو قولهم : فلان وسط من الرجال ، تنبيهاً أنه قد خرج من حدّ الخير)) ^(٢) .
ويضيف الدّامغاني : تفسير الوسط على وجهين : العدل ، الوسط بعينه . فوجه منها : ((وسطاً)) : أي عدلاً ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... وقوله تعالى ((مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ))

والوجه الثاني : الوسط بعينه ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)) يعني : صلاة العصر ، وقيل : الصبح ^(٣) .

مما سبق يتضح لنا أن معاني الوسطية لا تخرج عن : العدل والفضل والخيرية ، والنصف والبينية ، والتوسط بين طرفين ، فقد استقر في لسان العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة ((الوسط)) أرادوا معاني : الخير والعدل والنصف ، والجودة والمكانة العالية .

وكل هذا أيضاً من معاني التوازن التي هي النظر في كل الجوانب ، وعدم طغيان جانب على آخر ، وذلك باجتناّب الغلو والجفاء والتطرف وكذلك إذا أردنا فهم مصطلح ((الوسطية)) فلا بد من توفر صفتين : الخيرية ، البينية .

ولا بد من فهم حقيقة هذين الأمرين لفهم حقيقة الوسطية فإنه لا يمكن تحقيقها إلا بعد الفهم السليم لها .

فالوسطية هي اعتدال بين طرفين ، ذلك أن صراط الله مستقيم وسُبُل الضلالة تنتشعب عن يمينه وشماله فمن كان على ذلك الصراط المستقيم فهو على الوسطية الربانية .

المبحث الثاني : وسطية الإسلام بين الأديان :

الاعتدال والتوسط سمة من سمات هذا الدين ؛ لكن المتأمل في أحوال كثير من الأمم والأديان يجدهم بين غالٍ ومُسرف ، ومتهاون ومضيع ، وبين معتدل ومتوسط سالك لطريق الأمة الوسط .

ومن أهم خصائص هذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به أنه وسط في الملل والأديان، جعله الله تعالى وسطاً بين الإفراط والتفريط ، أو بين الغلو والتقصير ، وتظهر هذه الوسطية في مجالات ونواحي كثيرة منها :

١. في العقيدة :

المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ، فهم لم يغلو فيهم غلو النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم ، ولا جَفَوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حقٍّ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، وكذبوا على ربهم . بل المؤمنون المسلمون : آمنوا برسول الله جميعاً ، وعزّروهم ووقّروهم وأحبّوهم وأطاعوهم ، ولم يعبدوهم ولم يتّخذوهم أرباباً ، وآمنوا بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل ، فكان ذلك وسطية بين أمرين مذمومين .

كذلك فصّل الإسلام فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، وخصائص الألوهية وخصائص العبودية ؛ بينما تقول الكنيسة بالألوهية المسيح عليه السلام .

٢. وفي مجال العبادة والتحليل والتحرير :

جاء الإسلام وسطاً بين الرهبانية التي قطعت كل صلة بالحياة وانقطعت للعبادة ؛ وبين الإغراق في المجال المادي والاهتمام بالنواحي المادية والطغيان المالي ؛ وفي الحلال والحرام جاء الإسلام وسطاً بين اليهود الذين حرّم عليهم كثير من أنواع الطعام واللباس بسبب ظلمهم... والنصارى الذين استحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا النجاسات... أما المؤمنون المسلمون فقد أحلّ الله لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث .

٣. وفي التشريع :

جاء الإسلام وسطاً بين اليهود الذين حرّموا على الله أن ينسخ ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ... وبين النصارى الذين أجازوا لأكابر علمائهم وعبّادهم أن يشرعوا بالتحليل والتحريم من دون الله .

٤ . وفي مجال السلوك والأخلاق :

جاءت شريعة الإسلام وسطاً بين الإفراط والتفريط في الجانب الأخلاقي بين الجنوح إلى المثالية الخيالية والواقعية المتمتة ... فهي لا تترك الحياة كلها للمشاعر والضمائر ، ولا الترف والميوعة والهوى الذي يعصف بها في تيارات الخلاعة والمجون ... ولكنها ترفع الضمائر بالتذهيب والتوجيه ، تعمّرها بتقوى الله ومراقبته ؛ وسلوك محاسن الأخلاق تأسيّاً بنبينا ﷺ الذي مدحه الله تعالى بعظمة الخلق^(٤) .

وهنا أُعرج على قضية أنتقد فيها نظرية الوسط في فلسفة الأخلاق من حيث أنها ليست قاعدة مسلمة ؛ لأنه ليس في الإسلام ما يجعل التجاوز والسموّ في الأخلاق مذموماً ، فالمؤمنون درجات وكلّ يعمل على أن يرتقي في معارج السالكين إلى أن يصل إلى أعلى درجات اليقين والمحبة ، والكمال لا نهاية له .

وهل يُعقل أن يقال لمن أنفق جميع ماله في سبيل الله : إنه مبذّر ، أو إنه ارتكب مذموماً ؟! .

أرأيت أبا بكر الصديق ﷺ وقد جاء بكل ماله ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ نفقة في سبيل الله ؛ فدعا له النبي ﷺ وقال : بارك الله لك في أهلك ومالك ؟! فهل كان بذلك مسرفاً متجاوزاً للحدّ في الإنفاق ؟! .

إنما يُقال ذلك في مجال الإنفاق الشخصي ، أما في مجال الخير والتسابق فإنه لا إسراف فيه ولا تبذير بينما لو أنفق درهماً واحداً في وجه غير مشروع لكان ذلك تبذيراً مذموماً منهياً عنه . وكذلك خُلُق الشجاعة ، أليست هي بذل النفس في سبيل الخير ، أو الإقدام والجرأة ؟ فهل يقال : إن الشجاعة جزء من الجبن أو التهور حتى تكون وسطاً أو طرفاً ؟! وقد علمنا أن الوسط هو بعض ما يضاف إليه فإن وسط الدار جزء منها فلو كانت الشجاعة وسطاً بين الجبن والتهور لكانت جزءاً من الجبن والتهور^(٥) .

وأختم هذه الفقرة ب رائعة لسيد قطب - رحمه الله - وأخرى لابن تيمية عندما فسّر تعالى ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) فقال : ((إنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواءً من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادي والحسي .

((أمة وسطاً)) في التصور والاعتقاد ، لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الإرتكاس المادي ، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد ، أو جسد تتلبس به الروح ، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد بلا تفريط ولا إفراط ، في قصد وتناسق واعتدال .

((أمة وسطاً)) في التفكير والشعور ، لا تغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارها الدائم : الحقيقة ضالة المؤمن أتى وجدها أخذها في تثبت وبقين .

((أمة وسطاً)) في الارتباطات والعلاقات لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته.....))^(٦) .

أما رائعة ابن تيمية فقد قال : ((وكذلك أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور فهم في الوعيد وسط بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة ، وهم في القدر وسط بين القدرية من المعتزلة ونحوهم ، وبين القدرية الجبرية من الجهمية ونحوهم ، وهم في المعتزلة وسط بين المعطلة بين الممثلة .

والمقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله ﷺ فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة إلا بقول فاسد ، لا ينفردون قط بقول صحيح ، وكل من كان عن السنة أبعد كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر))^(٧) .

فأهل السنة هم وسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم .

المبحث الثالث : الوسطية ، ضوابطها ، معالمها .

المطلب الأول : ضوابط فهم الوسطية :

معرفة وفهم الوسطية لا تخضع للأهواء أو التقديرات الذاتية ، وإنما تُعرف بالشرع بمعنى أن الوسطية هي كون الإنسان في دائرة الشرع وهي الخير والعدل - كما بينا آنفاً - فإذا وقف الإنسان دون هذه الدائرة ولم يعمل فيها مقصراً مفرطاً ، وإذا تجاوزها كان مفرطاً مغالياً متطرفاً إلى الجهة الأخرى المذمومة .

فليس معنى الوسطية إذن : أن يكون الإنسان دائماً في نقطة الوسط المادي بين جهتين أو صفتين فقد يتعدى هذه النقطة ليصل إلى ما هو أعلى منها دون أن يخرج ذلك عن دائرة الوسطية ، كما في صفة البذل واسخاء والشجاعة .

وليس هناك ما يمنع شرعاً من تجاوز العدل إلى الفضل ، بل هنا ما يحمل أصحاب النفوس العالية والهمم القوية على الارتقاء دائماً والسمو والتطلع نحو الآفاق العالية الكبيرة التي لا يستطيعها الضعاف ، ويحملهم أيضاً على الاستكثار من الأعمال الصالحة .

وقد جعل الله تعالى هذه الأمة التي ورثت الكتاب والوحي ثلاثة أصناف حيث قال تعالى ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)) (٨) .

فالصنف الثالث يتقدم ويسبق الصنفين السابقين بالأعمال الصالحة وينال ثواب الله وجنته والدرجات العلى بسبب الخيرات وإحراز الفضل بسببها .

وهذه الرتبة التي يصل إليها هذا الصنف من الأمة المسلمة عزيزة المنال صعبة المآخذ ، لا ينالها إلا من كان ذا همّة عالية تتوق إلى ما عند الله تعالى من الجنة والرضوان ، ومن كان له غاية ورسالة سامية في هذه الدنيا فهو يسعى للقيام بها (٩) .

ولتتميز الوسطية عن غيرها ، ولئلا تكون مجالاً لأصحاب الأهواء والشهوات لا بد من تحديد ملامح وسمات وضوابط لمفهوم الوسطية من الإسلام ومن أهمها :

١. **الخيرية** : وهي تحقيق الإيمان الشامل يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (١٠) .

٢. **الاستقامة** : وهي لزوم المنهج المستقيم بلا انحراف ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (١١) . فالوسطية لا تعني التنازل أو التميع أبداً ولا طلب للبديل دوماً عن أفكار دخيلة ومفاهيم خاطئة وتصرفات عوجاء لا يرتضيها الشرع .

٣. **البينية** : وذلك واضح في كل أبواب الدين في العقائد والعبادات والمعاملات وغيرها ، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين .

٤. **اليسر ورفع الحرج** : وهي لازمة للوسطية ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) (١٢) .

٥. **العدل والحكمة** : وقد فسّر النبي ﷺ الوسط بالعدل (١٣) . وذلك هو معنى الخيار ، وذلك لان خيار الناس : عدولهم . وهذه الأمور لا تتحقق ولا تفهم إلا بإتقان الحكمة ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)) (١٤) . وبالمثال يتضح المقال لفهم الوسطية :

فعل السنن : تتمثل مظاهر الابتعاد عن السنة في اتجاهين :

الاتجاه الأول : التفريط والجفاء ، ومن مظاهره : عدم العناية بالسنة ، ودعوى تقسيم الإسلام إلى لب وقشور ، والاشتغال بالقضايا المعاصرة فقط .

الاتجاه الثاني : الغلو ، ومن مظاهره:تتبع الغرائب من السنن ، والاهتمام بها على حساب الواجبات ، والاهتمام بها على حساب القضايا المعاصرة ، والإكثار من طرحها وإثارتها ، والتكلف والتشدد في تطبيقها .

والواجب : العناية بالإسلام جملة وتفصيلاً : بالسنة والواجبات ، ومع الحرص على إحياء السنن المهجورة ، كالتبكير للصلاة ، والتبكير للجمعة ، وقيام الليل ، والجلوس في المسجد للذكر بعد صلاة الفجر ، لما لذلك من أثر في إحياء القلوب ، وإزالة قسوتها فلا بد من التحلي بالحكمة والتأني وعدم التكلف (١٥) .

المطلب الثاني : معالم في فهم الوسطية : أولاً : الغلو والإفراط :

قال تعالى ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)) (١٦) . وقال ﷺ ((إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) (١٧) . والغلو : مبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد .

وحقيقته : مبالغة في الالتزام في الدين وليس خروجاً عنه في الأصل ، ويكون متعلقاً بفقه النصوص أو الأحكام أو الحكم على الآخرين ، وكما يكون فعلاً فإنه يكون تركاً كترك النوم ، وتحريم الطيبات ، وليس منه : طلب الأكمل من العبادة ، بل هو تجاوز الأكمل إلى المشقة (١٨) . ومن أخطار الغلو وعيوبه :

١) كراهية الناس ونفورهم ، يقول النبي ﷺ: ((إن منكم منفرين فأياكم ما صلى بالناس فليجتوز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة)) (١٩) .

٢) الفتور أو الانقطاع ، فالإنسان ملول ، وطاقته محدودة .

وقد وضع النبي ﷺ طبيعة هذا الدين فقال : ((إن الدين يسر ، ولن يُشاد هذا الدين أحدٌ إلا غلبه،فسددوا وقاربوا،وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة،وشيء من الدلجة)) (٢٠) .

فبين ﷺ أنه لا يتعمق أحد في العبادة ، ويترك الرفق كالرهبان إلا عجز ، فيُغلب .

٣) التقصير في الحقوق والواجبات الأخرى ، وانظر قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : ((فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام))... ، ((فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسdek عليك حقاً)) (٢١) .

٤) الفرقة والتمزق في الصف الإسلامي ، وهو ما نشاهده ونعيشه كثيراً .

مظاهر الغلو كثيرة منها :

١. كثرة الافتراضات والسؤالات عما لم يقع .
٢. المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو تضييع الواجب .
٣. الاشتغال بمسائل الفروع على حساب الأصول .
٤. استقراغ الجهد في المختلف منه مع إهمال المجمع عليه علماً وعملاً .
٥. التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر .
٦. إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم به الله ، والتشديد في غير محله من حيث (المكان والزمان والأشخاص) .
٧. الغلظة والجفاء والخشونة في غير الجهاد وإقامة الحدود وسوء الظن بالآخرين وتهمتهم وإدانتهن والسقوط في هاوية التكفير بلا ضوابط شرعية (٢٢) .

ولهذا الغلو دوافع وأسباب من أهمها :

١. البيئة المستخدمة للشدة والضغط والإكراه .
 ٢. التكوين النفسي والفكري لبعض المغالين .
 ٣. الذكاء مع الفراغ وعدم البصيرة بالاولويات .
 ٤. الاعتماد على النفس من أول الأمر في تحصيل العلم ، أو التلقي عن الجاهلين ، مع خلو الساحة من العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور والسلوك ، والتصدّر للفتوى والاجتهاد قبل الاستواء والنضج .
 ٥. الرغبة في الطاعة مع الجهل بالسنة .
 ٦. الحظوظ النفسية والإغراء بالدنيا .
 ٧. تعطيل شرع الله في الأرض وظهور العلمنة الصريحة وإعراض كثير من المسلمين عن دينهم .
 ٨. شيوع الظلم والفساد ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التقصير في القيام بذلك .
 ٩. تحكّم الكافرين في مصالح المسلمين ومحاربة المتمسكين بالدين .
 ١٠. الجفوة بين العلماء والشباب ، والخلل في مناهج بعض الدعوات ، مع وجود قوة العاطفة لدى فئات من الشباب .
- وقد كان النبي ﷺ ينكر كل بادرة غلو ، وينهى عن ذلك أشدّ النهي ، كما في قصة نفر الثلاثة الذي عزموا على الصيام والقيام وترك النساء (٢٣) . وأخبر أيضاً بهلكة المنتطعين (٢٤) . وما ذاك إلا لأن الغلو شطط وانحرف وبُعد عن الصراط المستقيم (٢٥) .

ثانياً : التفريط والجفاء :

التفريط هو : التضييع والتقصير والترك ، ومنشؤه - غالباً - التساهل والتهاون . الجفاء هو : الترك والبعد وسوء الخلق .

ومن مظاهره :

١. تأخير الصلاة عن وقتها .
 ٢. ترك إنكار المنكرات .
 ٣. إهمال تربية الأولاد .
 ٤. ترك الأخذ بالأسباب .
 ٥. الغلظة في المعاملة .
 ٦. السلبية تجاه الاهتمام بواقع المسلمين .
- والتفريط يقطع الإنسان عن كثير من الأجور والدرجات ، فقد يخرج من دائرة أولياء الله الصالحين ، وقد يعرضه للوعيد والعقوبة وقد يجره إلى الانحراف .

أسبابه :

١. الكسل : وقد استعاذ النبي الصلاة والسلام من العجز والكسل وهو ناتج من نسيان الآخرة وإثارة العاجلة .
٢. الجهل بالقدر الواجب من العلم العيني أو الكفائي أو ربما حتى القدر المستحب .
٣. الاستجابة لضغط الواقع ، أو الهروب من تهمة التطرف والغلو ونحو ذلك مما يكون في الغالب إفرازاً لانحراف في المنهج ، ومظهراً من مظاهر الانحراف في الفهم .

ثالثاً : الصراط المستقيم :

لا يمكن فهم الوسطية من دون فهم الصراط المستقيم والذي هو: الطريق الواضح الهادي، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه، وهو كتاب الله ، أو الإسلام ، أو الرسول ، أو السنة والجماعة، وحاصل كل ذلك : المتابعة لله ورسوله ؛ وهذا يمثل أعلى درجات الوسطية ^(٢٦). وعند فهم الوسطية تزول إشكالات كثيرة ، يكثُر السؤال عنها كالتوفيق بين: العلم ، والعبادة ، والدعوة ، والجهاد الخ .

المبحث الرابع : مسؤولية الأمة المسلمة الوسط ودورها :

بعد أن بيّنا وسطية الأمة المسلمة بين الأمم ، بالتالي هذه الوسطية هي التي حدّدت وظيفة الأمة المسلمة ، ودورها في حياة الناس ، فهي تشهد على الناس جميعاً ، فتقيم بينهم العدل والقسط ، وتضع الموازين والقيم ، ويكون رأيها هو الفصل لأنها تستطيع أن تقدم للبشرية

الحائرة والتائهة في ظل أنظمة وأهواء بشرية نظاماً إلهياً يخلصها مما تعاني منه ، ويرتفع بها إلى مستوى إنسانيته بعد أن سقطت الأمم الأخرى في تفاهات الجنس والعري والمخدرات وانتشار كل أنواع الجرائم والموبقات .

ويعبر عن هذا خير تعبير كلمة الأستاذ (إيرفنج) الأستاذ بجامعة (تنسي) الأمريكية حينما وقف مخاطباً تجمّعاً للمسلمين في مدينة (جلاسجو) ببرطانيا منذ سنوات ؛ فقال : ((إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً أو تقنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً ، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام، أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون ، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض !! تعلّموا الإسلام وطبقوه ، واحملوه لغيركم من البشر تفتتح أمامكم الدنيا ، وتدّن لكم كل ذي سلطان .

أعطوني أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً ، يطبقونه على حياتهم تطبيقاً دقيقاً؛ ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر وأسلوبه وأنا أفتح بهم الأمريكتين))^(٢٧).

وهذا يتطلب منا أن نأخذ الإسلام جملة وتفصيلاً ، ونراعي شخصية الفرد بجميع جوانبها العقلية والوجدانية ... وهذا بالنسبة للفرد .

كذلك على صعيد المجتمع : ينبغي ألا تكون التربية نحو الوسطية نخبوية تخص فئة من الناس دون غيرهم وتهمل بقية الفئات ^(٢٨) .

وهذا كله يلقي على علماء الإسلام ومفكره وقادته مسؤولية ضخمة أمام الله تعالى وأمام دينهم وأمتهم والأجيال القادمة في رسم طريق الخلاص مما يعانونه من مشكلات فكرية وخلقية وحضارية وقانونية ... ولعلهم يقدّرون هذه المسؤولية حقّ قدرها .

الخاتمة:

- بعد توفيق من الله تعالى في إتمام هذا البحث، نستطيع القول بأن أهم النتائج هي :
١. من معاني الوسطية في المنظور الإسلامي : العدل والخيرية .
 ٢. الإسلام وسط في الملل والأديان في العقيدة والعبادة والتشريع وغير ذلك .
 ٣. نظرية الوسط في فلسفة الأخلاق ليست مسلمة فالتجاوز والسمو في الأخلاق ليس مذموماً .
 ٤. فهم الوسطية لا يخضع للأهواء أو التقديرات الذاتية وإنما تعرف بالشرع ولها ضوابط .
 ٥. لمعرفة الوسطية لا بد من معرفة الإفراط والتفريط والطريق المستقيم ومظاهر كل واحدٍ منهم .
 ٦. على الأمة المسلمة مسؤولية كبيرة ودور عظيم في رسم طريق الخلاص للبشرية وهذا يتمثل بالعلماء والمفكرين والقادة .

والله المستعان

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

هوامش البحث ومصادره ومراجعته :

- (١) ينظر لسان العرب، ابن منظور: ١٥ / ٢٠٨-٢١٠ ، ط ٢ ، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣ م .
- (٢) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٥٣٧ ، ط ١ ، التوفيقية، القاهرة، د.ت .
- (٣) ينظر، تفسير الطبري : ١ / ٧٤٥، ط ١ ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م . تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، البغوي : ٦٩ ، ط ١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- (٤) ينظر ، مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية : ١٩٦ / ٢ ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت، ٢٠٠٣ م. الفوائد ، ابن القيم الجوزية: ١٨٣ ، ط ١ ، دار الإسرائء، عمان ٢٠٠٤ م .
- خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب : ١٣٦ ، د . ط ، د . ت . دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب : ٥٦ ، د . ط ، د . ت .
- (٥) ينظر ، مقاصد الشريعة ومكارمها ، علل الفاسي : ٤٥ ، د.ط ، د.ت . حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، عباس محمود العقاد : ٢٨٥ ، د.ط ، د.ت .
- (٦) تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب: ١ / ١٣٠-١٣٢ ، ط ٣٢ ، دار الشروق ، بيروت، ٢٠٠٣ م .
- (٧) منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية : ١٦٨ / ٥ ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، د.ت .
- (٨) سورة فاطر : ٣٢ .
- (٩) ينظر تفسير ابن كثير : ٣ / ٧٢٦ - ٧٢٩ ، ط ١ ، مؤسسة الريان ، الكويت ، ١٩٩٨ م .
- أضواء البيان ، الشنقيطي : ١١١ / ٦ ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- (١٠) سورة آل عمران : ١١٠ .

- (١١) سورة هود : ١١٢ .
- (١٢) سورة الحج : ٧٨ .
- (١٣) جامع الترمذي : ٦٦٦ (٢٩٦١) ، ط١ ، دار السلام ، الرياض ، ١٩٩٩ م .
- (١٤) سورة البقرة : ٢٦٩ .
- (١٥) ينظر ، مقال : تطبيق السنة بين الغلو والجفاء ، محمد عبد الله الدويش ، مجلة البيان ، عدد : ٣٦ ، رجب ١٤١١ .
- (١٦) ١٦. سورة النساء : ١٧١ .
- (١٧) سنن النسائي الصغرى : ٤١٩ (٣٠٥٩) ، ط١ ، دار السلام ، الرياض ، ١٩٩٩ م .
- (١٨) ينظر ، آفات على الطريق ، د. السيد محمد نوح : ٣ / ١٩٣ ، د. ط ، د. ت .
- (١٩) الجامع الصحيح ، البخاري : ١٣٨ (٧٠٢) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
- (٢٠) البخاري : ٢٣ (٣٩) .
- (٢١) صحيح مسلم : ٤٥٤ (١٨٢) ، ط١ ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- (٢٢) ينظر ، آفات على الطريق : ٣ / ١٨٨ - ١٩٣ .
- (٢٣) رواه البخاري : ٩٥٥ (٥٠٦٣) .
- (٢٤) رواه مسلم : ١١١٦ (٢٦٧٠) .
- (٢٥) ينظر ، آفات على الطريق : ٣ / ١٩٣ .
- (٢٦) للإستزادة في هذا الموضوع ينظر ، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، يوسف القرضاوي .
- (٢٧) ينظر ، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي ، د. زغلول النجار : ١٣٧ ، د . ط ، د . ت . وينظر ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب : ١٣٦ ، د. ط ، د. ت .
- (٢٨) للإستزادة يُنظر : التنازع والتوازن في حياة المسلم ، محمد حسن بن عقيل موسى .